إمرأة تعظ الرجال

تأليف
مجدي فتحي السيد

213
س م ا

دار الراية للنشر والتوزيع

امرأة
تعظ الرجال

جميع الحقوق محفوظة للناشر
الطبعة الأولى
١٤١٨هـ

ⓒ دار الراية للنشر والتوزيع ١٤١٨هـ.

فهرس مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السيد، مجدي فتحي
امرأة تعظ الرجال - الرياض.
٦٣ص؛ ١٢×١٧سم
ردمك ٤- ٤٧- ٦٦١- ٩٩٦٠
١- الدعوة الإسلامية ٢- الوعظ والإرشاد أ- العنوان
ديوي ٢١٣ ١٨/١١١١

رقم الإيداع: ١٨/١١١١
ردمك: ٤- ٤٧- ٦٦١- ٩٩٦٠

دار الراية للنشر والتوزيع

الرياض: الربوة - طريق عمر بن عبدالعزيز ☎ ٤٩١١٩٨٥ - ٤٩٢١٣٩٣
فاكس ٤٩٣١٨٦٩ ص.ب. (٤٠١٢٤) الرياض (١١٤٩٩)
جـــدة: حي الجامعة - جنوب باخشب ☎ ٦٨٨٥٧٤٩

تم الصف والإخراج الفني بدار الراية للنشر والتوزيع

٢١٣
١٢٤

امرأة تعظ الرجال

تأليف

مجدي فتحي السيد

دار الراية
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ...

نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ با لله تعالى من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده ا لله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا ا لله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾.

أما بعـــد...

فـإن أصـدق الحديـث كتـاب الله، وخـير الهـدي هدي محمـد ﷺ، وشـر الأمـور محدثاتهـا، وكـل محدثـة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعـــد...

فهذه صفحاتٌ في الوعظ والرقاق، تدعو النفـوس إلى الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والاستعداد ليوم الرحيل، والرضى بالقليل.

ومن نفاسة تلك المواعظ أنها صدرت من النسـاء إلى الرجال، فمع امرأة تعظ الرجال نمضي بين صفحـات الكتاب، أسأل الله حسن القبول.

والحمد لله رب العالمين

أبو مريم
مجدي فتحي السيد
طنطا – مصر

① دواء قسوة القلوب

قال رجلٌ لأم الدرداء -رضي الله عنها-:
إني لأجد في قلبي داءً، لا أجد له دواء؟!
وأجد قسوة شديدة، وأملاً بعيداً؟!
فقالت أم الدرداء:
"اطلع في القبور، واشهد الموتى".(١)

أخي المسلم...
أختي المسلمة...

القلب هو أصل كل الجوارح، إن فسد فسدت كل الجوارح، وإن صلح صلحت كل الجوارح، إذ هو الشجرة، وسائر الأعضاء أغصان، ومن الشجرة تشرب الأغصان.

فإن صلح الأصل صلح الفرع، وإن فسد الأصل هلك الفرع.

---

(١) الأعلام (٥/٢٠٦) للنساء لكحالة.

والقلب ملك، والأعضاء هم الرعية، فإذا صلح الملك، صلحت الرعية، وإذا فسد فسدت ولكي يستطيع المسلم عبادة ربه، فعليه بإصلاح قلبه، فإنه لا ينجو يوم القيامة إلا أصحاب القلوب السليمة، كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.[1]، فلا يقي المرء من عذاب الله ماله، ولو افتدى بملء الأرض ذهباً.

ولا يقي المرء من عذاب الله تعالى أولاده، ولو افتدى بمن في الأرض جميعاً، ولا ينفع يومئذ إلا الإيمان بالله تعالى، والتبرؤ من الشرك وأهله.

ولهذا قال جل شأنه: ﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

أي سلم من الدنس والشرك.

والقلب السليم، هو القلب الصحيح قلب المؤمن، الذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك، بوجهٍ من الوجوه، بل قد خلصت عبوديته لله تعالى،

(١) سورة الشعراء، الآية: ٨٩.

إرادة، ومحبة، وتوكلاً، وإنابة، وإخباتاً، وخشية، ورجاء، وخلص عمله لله وحده.

إن أحب أحب في الله تعالى، وإن أبغض أبغض في الله عز وجل، وإن أعطى أعطى لله تعالى، وإن منع منع لله عز وجل، ولا يكفيه هذا حتى يسلم من الانقياد والتحكيم لكل من عدا رسول الله ﷺ، فيعقد قلبه معه عقداً محكماً على الائتمام به، والاقتداء به وحده، دون كل أحدٍ في الأقوال، والأفعال، من أعمال القلب وهي العقائد، ومن أقوال اللسان وهي الخبر عما في القلب.

فلا يتقدم بين يديه بعقيدةٍ، ولا بقولٍ، ولا بعملٍ، كما قال تعالى:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.(١)

أي: لا تقولوا حتى يقول، ولا تفعلوا حتى يأمر.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١.

قال بعض السلف: "ما من فعلةٍ وإن صغرت إلا نشر لها ديوانان: لم؟ وكيف؟

أي: لم فعلت؟ وكيف فعلت؟

فالأول: سؤال عن علة الفعل، وباعثه، وداعيه.

وهل هو حظ عاجل من حظوظ العامل، وغرض من أغراض الدنيا في محبة المدح من الناس، أو خوف ذمهم، أو استجلاب محبوب عاجل؟!

أم الباعث على الفعل: القيام بحق العبودية، وطلب التودد، والتقرب إلى الله تعالى، وابتغاء الوسيلة إليه؟!

ومحل هذا السؤال: أنه هل كان عليك أن تفعل هذا الفعل لمولاك، أم فعلته لحظك وهواك؟!!

والثاني: سؤال عن متابعة الرسول ﷺ في هذا التعبد، أي: هل كان ذلك العمل مما شرعته لك على لسان رسولي، أم كان عملاً لم أشرعه، ولم أرضه؟

فالأول سؤالٌ عن الإخلاص، والثاني: عن المتابعة، فإن الله سبحانه وتعالى لا يقبل عملاً إلا بهما.

فطريق التخلص من السؤال الأول: بتجريد الإخلاص.

وطريق التخلص من السؤال الثاني: بتحقيق المتابعة، وسلامة القلب من إرادة تعارض الإخلاص، وهو يعارض الإتباع.

فهذه حقيقة سلامة القلب الذي ضمنت له النجاة والسلامة.[1]

ولكي يظل القلب سليماً من أمراض الشبهات والشهوات عليه أن يستعمل الأدوية التي تخلص القلب من أمراضه، وتعينه على الوصول إلى السلامة الكاملة.

ومن أدوية القلوب: قراءة القرآن الكريم، وذكر الرحمن.

ومن أدوية القلوب: التوبة النصوح، ومحاسبة النفس.

ومن أدوية القلوب: قيام الليل، وصيام النهار.

---

(١) إغاثة اللهفان (١/١٤) لابن قيم الجوزية.

وفي الموعظة النسائية التي بين أيدينا يأتي رجلٌ إلى أم الدرداء -رضي الله عنها- شاكياً لها قسوة قلبه، وطالباً منها الدواء الناجع لداء قلبه.

وهنا تقول أم الدرداء -رضي الله عنها-:

"اطلع في القبور".

زُر القبور، وتأمل أحوال أهلها، واعتبر بمن صار تحت التراب، وانقطع عن الأهل، والأحباب، بعد أن قاد الجيوش والعساكر، ونافس الأصحاب والعشائر، وجمع الأموال، والذخائر، فجاءه الموتُ في وقتٍ لم يحتسبه، وهولٍ لم يرتقبه.

تأمل أحوال مَنْ مضى من إخوانك، ودرج من أقرانك، الذين بلغوا الآمال، وجمعوا الأموال، كيف انقطعت آمالهم، ولم تغن عنهم أموالهم.

تأمل كيف محا التراب محاسن وجوههم، وافترقت في القبور أجزاؤهم، وترمل بعدهم نساؤهم، وشمل ذل اليتيم أولادهم، واقتسم غيرهم طريقهم، وأموالهم، وبلادهم.

زُر القبور وتذكر من مات، وكيف تهدمت رجلاه، وسألت عيناه، وكان يتلذذ بالنظر إلى ما حوله، وقد أكل الدود لسانه، وكان يصول ببلاغة نطقه، وقد أبلى التراب أسنانه، وكان يضحك بها ليلاً ونهاراً.(١)

"اطلع في القبور".

وتذكر فأنت تزور القبور أن القبر يناديك، ويقول لك:

يا ابن آدم .. ويحك ما غرك بي؟!
ألم تعلم أني بيت الدود؟!
ألم تعلم أني بيت الفرقة؟!
ألم تعلم أني بيت الوحشة؟!
ألم تعلم أني بيت الظلمة؟!
هذا ما أعددت لك، فماذا أعددت لي؟!

"اطلع في القبور"

وتخيل بعقلك، وتوهم أنك الآن صرت في قبرك، وقد طرحت في حفرةٍ من الأرض، قصيرة الطول،

---

(١) التذكرة (٢١/١) للقرطبي بتصرف.

ضيقة العرض، فاشتدت بها وحشتك، واستبانت غربتك، فانضم عليك القبر ضمة كسرت أنفك، وشدخت رأسك، ورضت عظامك، وملأت ظلمة أرضك.

"اطلع في القبور"

كما قالت الواعظة أم الدرداء -رضي الله عنها-، وتذكر ما يحدث فيها من سؤال الملكين، والتبشير والإنذار من قبل الملك الموكل بالأعمال.

"اطلع في القبور"

وتذكر قول البشير النذير ﷺ:

(فيأتيه ملكان شديدا الانتهار، فينتهرانه، ويجلسانه، فيقولان له:

من ربك؟

فيقول: ربي الله.

فيقولان له: ما دينك؟

فيقول: ديني الإسلام.

فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟

فيقول: هو رسول الله ﷺ.

فيقولان له: وما عملك؟

فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به، وصدقت.

فيقولان له: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟

فذلك حين يقول الله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾[1]

فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبي محمد ﷺ.

فينادي منادي من السماء: أن صدق عبدي، فافرشوا له من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً من الجنة.

فيأتيه من روحها، وطيبها، ويُفسح له في قبره مُد بصره، ويأتيه رجلٌ حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول:

أبشر بالذي يسرك، أبشر برضوانٍ من الله، وجنات فيها نعيمٌ مقيم، هذا يومك الذي كنتَ تُوعد.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

فيقول: وأنت فبشرك الله بالخير، من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير.

فيقول: أنا عملك الصالح، فوالله ما علمتك إلا أنك كنت سريعاً في طاعة الله، بطيئاً في معصيته الله، فجزاك الله خيراً.

ثم يفتح له باب إلى الجنة، وباب من النار، فيقال: هذا منزلك، لو عصيت الله، أبدلك الله به هذا.

فإذا رأى ما في الجنة، قال: ربي عجل قيام الساعة كي ما أرجع إلى أهلي ومالي فيقال له اسكن.

أما الكافر أو الفاجر: يأتيه ملكان شديد الانتهار، فينتهرانه، ويجلسانه، فيقولان له:

من ربك؟

فيقول: هاه... هاه.. لا أدري.

فيقولان له: ما دينك؟

فيقول: هاه... هاه.. لا أدري.

فيقولان له: فما تقول في الرجل الذي بعث فيكم؟

فلا يهتدي لاسمه، فيقال: محمد؟! فيقول: هاه... هاه.. لا أدري سمعت الناس يقولون ذلك.

فيقال له: لا دريت، ولا تلوت، فينادي مناد من السماء: أن كذب، فافرشوا له من النار، وافتحوا له باباً من النار، فيأتيه من حرها، وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه.

ويأتيه رجلٌ قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسؤوك، هذا يومك الذي كنت توعد.

فيقول: وأنت فبشرك الله بالشر، من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر.

فيقول: أنا عملك الخبيث، فوالله ما علمتك إلا كنت بطيئاً عن طاعة الله، سريعاً إلى معصية الله، فجزاك الله شراً.

ثم يُقيض له أعمى، أصم أبكم في يده مرزبة، لو ضُرب بها جبلٌ كان ترباً، فيضربه ضربة حتى يصير بها تراباً، ثم يعيده الله كما كان، فيضربه ضربة أخرى، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين، ثم يفتح له

باب من النار، ويمهد من فرش النـار، فيقـول: رب لا تقـم الساعة)[١]

أخي المسلم...

أختي المسلمة...

"اطلع في القبور"

وليتذكر كل واحد منا أنه وضع العبد الصـالح في قـبره احتوشـته أعمالـه الصالحـة: الصـلاة، والحـج، والجهـاد، والصدقـة، فتجـيء ملائكـة العـذاب مـن قبـل رجليه، فتقول الصلاة: إليكم عنه، فقد أطـال ظمـأه لله تعالى في الدنيا.

فيأتون مـن قبـل جسـده، فيقـول الحـج والجهـاد: إليكـم عنـه، فقـد أنصـب نفسـه، وأتعـب بدنـه، وحـج وجاهد لله عز وجل، لا سبيل لكم عليه.

---

(١) حديثٌ صحيحٌ. أخرجه أبوداود (٤٧٥٣)، وأحمد (٢٨٧/٤)، وابن المبارك (٤٣١) في الزهـد، وابـن أبـي شـيبة (٣٨٠/٣) في مصنفه، والطيالسي (٧٥٣) في مسنده، والحاكم (٣٧/١-٤٠) في مستدركه.

فيأتون من قبل يديه، فتقول الصدقة: كفوا عن صاحبي، فكم من صدقةٍ خرجت من هاتين اليدين، حتى وقعت في يد الله عز وجل، ابتغاء وجهه، فلا سبيل لكم عليه.

فيقال: هنيئاً، طيباً، حياً، وميتاً.

وتأتيه ملائكة الرحمة، فتفرشه فراشاً من الجنة، ودثاراً من الجنة، ويفسح له في قبره مُدّ البصر، ويؤتى بقنديل من الجنة، فيستضئ بنوره إلى يوم القيامة.[1]

"اطلع في القبور"

لكي تستمع إلى ما يقال للميت إذا وضع في قبره، واحتوشته أعماله، فأنطقها الله تعالى.

"واشهد الموتى"

شاهد مَنْ يموتون، وانظر إلى ما يعانون، وتأمل في أحوالهم وقد غلبتهم السكرات، وغطت عليه الكربات، وظهر على وجوههم الحسرات.

---

(١) هذا الأثر خرجته مفصلاً في "تذكير المغرور"، و"التذكرة" للقرطبي.

"اشهد الموتى"

فإن مشاهدة المحتضرين، وهم في غمرات الموت، ورؤية تألمهم من السكرات، وتأمل صورتهم بعد مماتهم مما يقطع عن النفوس لذاتها، ويطرد عن القلوب مسراتها، ويمنع الأجفان من النوم، والأبدان من الراحة، ويبعث على العمل، ويزيد في الجد والاجتهاد.

يروي أصحاب السير والتراجم أن الحسن البصري -رحمه الله- دخل على مريضٍ يعوده، فوجده في سكرات الموت، فنظر إلى كربه، وشدة ما نزل به، فرجع إلى أهله بغير اللون الذي خرج به من عندهم.

فقالوا: الطعام يرحمك الله.

فقال: يا أهلاه... عليكم بطعامكم، وشرابكم، فوالله لقد رأيتُ مصرعاً لا أزال أعمل له حتى ألقاه.

"اشهد الموتى"

لترى الصالحين، الأبرار، الأتقياء، الأخفياء، وهم على سرير الموت يبكون، فترى دموعاً، وأحزاناً، وأسفاً وندماً، وحزناً وقلقاً شديداً.

مع أنهم كانوا على ما هم عليه من علمٍ وعمل، وزهدٍ وورع، كانوا قليلاً من ليلهم ما ينامون، وبالأسحار هم يستغفرون.

ومع ذلك بكوا عند فراق الدنيا وحزنوا، فلماذا البكاء والحزن؟

لقد بكوا عند فراق الدنيا لا بكاء الحزن عليها، ولكن بكاء توديع الأعمال الصالحة، توديع الصلاة والصيام، وتوديع الزكاة والحج، وتوديع قراءة القرآن، وذكر الرحمن، وتوديع الدعاء والاستغفار.

ولعل كلمات أحدهم، وهو على سرير الموت أصدق ما يعبر عن سبب بكائهم.

يقول العابد الزاهد يزيد الرقاشي -رحمه الله-، وهو في آخر لحظات عمره:

"ويحك يا يزيد، من ذا الذي يصلي عنك بعد الموت؟!

من الذي يصوم عنك بعد الموت؟!

من الذي يترضى عنك بعد الموت؟!

أيها الناس...

ألا تبكون على أنفسكم باقي حياتكم؟!

مَنْ الموت طالبه، والقبر بيته، والتراب فراشه، والدود أنيسه، وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر(١)، كيف يكون حاله؟!

"اشهد الموتى"

لكي يتأثر قلبك ببكاء الصالحين، وترق نفسك لدموعهم، يروي الشعبي -رحمه الله- أنه لما طعن عمر ابن الخطاب ﷺ أُتي بلبن فشرب منه، فخرج اللبن من طعنته فقال: الله أكبر، وعُلم أنه الموت، فجعل جلساؤه يثنون عليه خيراً، فقال: "وددتُ أن أخرج منها كفافاً، كما دخلت لا عليّ ولا لي، والله لو كان لي اليوم ما طلعت عليه الشمس لافتديتُ به من هول المطلع.

ثم غشي عليه، ورأسه بالأرض، فوضع ابنه عبدالله رأسه بين حجره، فلما أفاق قال له: ضع رأسي بالأرض، فقال ابنه: يا أبتاه، وهل الأرض وحجري إلا سواء؟!

---

(١) هذا الخبر خرجته مفصلاً في تحقيقي لكتاب "التذكرة" للقرطبي فليرجع إليه.

فقال عمر ﷺ : ضع رأسي بالأرض كما أمرتك، فوضعه، فمسح خديه، ثم قال: ويلٌ لعمر، ويلٌ لعمر، ويلٌ لأم عمر إن لم يغفر الله لعمر.

إذا قُبضت فأسرعوا بي إلى حفرتي، فإنما هو خيرٌ تقدموني إليه، أو شرٌّ تضعونه عن رقابكم".(١)

ولما احتضر عثمان بن عفان ﷺ جعل يقول: "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، اللهم إني أستعينك على أموري، وأسألك الصبر على بلائي".(٢)

وكان عمرو بن العاص ﷺ يقول: "لوددتُ أني رأيت رجلاً لبيباً، حازماً، قد نزل به الموت فيخبرني عن الموت، فلما نزل به الموت قيل له: يا أبا عبدالله، كنت تقول أيام حياتك: لوددت أني رأيت رجلاً لبيباً حازماً، قد نزل به الموت فيخبرني عن الموت، وأنت ذلك الرجل اللبيب الحازم، وقد نزل بك الموت، فأخبرنا

(١)، (٢) سبق تخريجهما مفصلاً في تحقيقي لكتاب "التذكرة" للقرطبي فليرجع إليه.

عنه، فقال: أجد كأن السموات أطبقت على الأرض، وأنا بينهما، وكأن نفسي تخرج من ثقب إبرة".

فلما دنا منه الموت دعا بحرسه ورجاله، فلما دخلوا عليه، قال لهم: هل تغنون عني من الله شيئاً؟ قالوا: لا. قال: فافترقوا عني، ثم دعا بماء فتوضأ، ثم قال: احملوني إلى المسجد فحملوه، فقال: استقبلوا بي القبلة ففعلوا، فقال: اللهم إنك أمرتني فعصيت، وائتمنتني فخنت، وحددت لي فتعديت.

اللهم لا بريءٌ فأعتذر، ولا قوي فأنتصر، بل مذنبٌ، مستغفر، ولا مُصر ولا مستكبر.

ثم قال: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين"، فلم يزل يرددها حتى مات ﵁.

ولم حضرت الوفاةُ معاوية بن أبي سفيان ﵁ قال: "أقعدوني، فجعل يذكر الله، ويسبحه، ثم قال: الآن تذكر ربك، بعد الانحطام والانهدام؟! ألا كان ذلك وغض الشباب، وقصير الزمان.

وبكى حتى علا بكاؤه ثم قال: اللهم ارحم الشيخ العاصي، ذا القلب القاسي، اللهم أقل العسرة،

واغفر الزلة، وخذ بحلمك على من لم يرج غيرك، ولا وثق بأحدٍ سواك.

ولما حضرت الوفاةُ أبا هريرة -رضي الله عنه- بكى، فقيل له: ما يبكيك يا أبا هريرة؟

فقال -رضي الله عنه-: يبكيني بُعد المفازة، وقلة الزاد، وضعف اليقين، والعقبة الكؤود، التي المهبط منها إما إلى الجنة، وإما إلى النار.

ولما دنا الموت من حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- قال: اللهم إني كنت أخافك، وأنا اليوم أرجوك، اللهم إني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، لكن لظمأ الهواجر وقيام الليل، ومزاحمة العلماء في حلق الذكر.

ويروى عن محمد بن المنكدر -رحمه الله- أنه لما نزل به الموتُ بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال -رحمه الله-: ما أبكي جزعاً من الموت، ولا حرصاً على الدنيا، ولكن أبكي على ما يفوتني من ظمأ الهواجر، وقيام ليالي الشتاء.

أخي المسلم...

أختي المسلمة...

هذا حال الصالحين على سرير الموت: دموعٌ وأحزانٌ، وأسفٌ وندمٌ، وبكاءٌ وعتابٌ، فماذا سيكون حالنا؟ إن لم نتعظ برؤية الصالحين في سكرات الموت، فمتى نتعظ؟!

"اشهد الموتى"

لو رأيت المقصرين، وهم يبكون ندماً، وحسرة؟

هذا عبدالملك بن مروان لما حضره الموت، نظر من موضعٍ له مشرف إلى رجلاً، وبيده ثوب يضرب به المغسلة، فقال: يا ليتني كنت مثل هذا الرجل، أعيش من كسب يدي يوماً بيومٍ، ولم أل من هذا الأمر شيئاً.

يروى عن أبي شجاع فناخسرو أنه لما نزل به الموت لم يُسمع منه إلا قوله: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ • هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾.(١)

---

(١) سورة الحاقة، الآية: ٢٨-٢٩.

ولما حضرت المأمون الوفاةُ أمر بحل دابته، ففرش له فاضطجع عليه، ووضع يده على رأسه وجعل يقول: يا من لا يزول ملكه، ارحم مَنْ قد زال ملكه.

ولما حضرت المنتصر الوفاةُ جعل يضطرب، فقيل له: لا بأس عليك يا أمير المؤمنين، فقال: هكذا لا بأس عليّ!! ذهبت عني الدنيا والآخرة، وتقولون لي: لا بأس عليك!.

أخي المسلم...

أختي المسلمة...

هكذا نجد في عظة الزاهدة أم الدرداء -رضي الله عنها- للرجل عظة بليغة.

أليس كل منا يريد ذهاب قسوة قلبه؟

فليعمل بعظة أم الدرداء: "**فاطلع في القبور، واشهد الموتى**".

ونكمل المسيرة مع امرأة أخرى تعظ الرجال.

ومن الله تعالى العون والتيسير.

② لا تغرنكم الدنيا كما غرتني

قال أبو هزار، وهو شيخٌ من بني تميم: قالت لي أم الدرداء -رضي الله عنها-: "أبا هزار، ألا أحدثك ما يقول الميت على سريره؟"

قال: قلت بلى.

قالت: "فإنه ينادي: يا أهلاه، ويا جيراناه، ويا حملة سريراه، لا تغرنك الدنيا كما غرتني، ولا تلعبن بكم كما لعبت بي، فإن أهلي لم يحملوا عني من وزري شيئاً". (١)

أم الدرداء -رضي الله عنها- تعظ الرجال، وتذكرهم بهاذم اللذات، وشدة الحزن والأسف بعد الممات.

وكأنها تقول لكل واحدٍ منا: ابن آدم، كأنك بالموت وقد فجأك وهجم، وألحقك بمن سبقك، ونقلت

---

(١) أخرجه أحمد (ص/٢٠٦-٢٠٧) في الزهد، والبيهقي (٥٠٤) في الزهد)، وابن الجوزي (٢٩٦/٤) في صفة الصفوة.

إلى بيت الوحدة والظلم، وندمت على التفريط غاية الندم.

فيا عجباً لعين تنام، وطالبها لم ينم؟!

متى تحذر مما توعد، ومتى تضرم فالخوف في قلبك؟!

إلى متى حسناتك تضمحل، وسيئاتك تجدد؟!

إلى متى لا يهو لك زجر المواعظ، وإن شدد؟!

إلى متى أنت بين الفتور والتردد؟!

متى تحذر يوماً فيه الجلود تنطق وتشهد؟!

متى تترك ما يغني فيما لا ينفذ؟!

متى تكون في الليل قائماً إذا سجا؟!

أين الذين عاملوا مولاهم وانفردوا، وقاموا في الدجى وركعوا، وسجدوا؟!

وقدموا إلى بابه في الأسحار ووفدوا، وصاموا هواجر النهار، فصبروا واجتهدوا؟

لقد ساروا وتخلفت، وفاتك ما وجدوا، وبقيت في أعقابهم، وإن لم تلحق بعد.(١)

---

(١) نقلاً عن الكبائر (ص/١٠٣) للذهبي.

تقول أم الدرداء -رضي الله عنها-: "إنه -يعني الميت- ينادي: يا أهلاه، ويا جيرناه، ويا حملة سريراه، لا تغرنكم الدنيا كما غرتني، ولا تلعبن بكم كما لعبت بي، فإن أهلي لم يحملوا عني وزري.

إنها الحقيقة .. التي لا شك فيها، الناس في غفلة.

فكأن أم الدرداء -رضي الله عنها- تنادي في المسلمين قائلة: أيها المتيقظون وهم نائمون، أتبنون ما لا تسكنون، وتجمعون ما لا تأكلون، كونوا كيف شئتم فستنقلون .. ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾.(١)

يا مقيمين سترحلون، يا مستقرين ما تتركون، يا غافلين عن الرحيل ستظعنون، أراكم متوطنين تأمون المنون؟!

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾

طول نهاركم تلعبون، وطول نهاركم ترقدون، والفرائض ما تؤدون، وقد رضيتم عن الغالي بالدون، لا تفعلوا ما تفعلون.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٥.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾

أما الأموال فتجمعون، والحق فيها ما تخرجون!!

وأما الصلاة فتضيعون، وإذا صليتم تنقرون، أترى هذا إلى كم يكون؟!

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾

أين العتاة المتجبرون؟!

أين الفراعنة المتسلطون؟!

أين أهل الخيلاء المتكبرون؟!

قدروا أنكم صرتم مثلهم أما تسمعون؟!

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾

ما نفعتهم الحصون، ولا رد المال المصون، هبت زعزع الموت فكسرت الغصون.

قدروا أنكم تزيدون عليهم ولا تنقصون!

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾

تقلبوا من اللذات في فنون، وأخرجهم البطرُ إلى الجنون، فأتاهم ما هم عنه غافلونَ.

﴿كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾.[١]

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾[٢]

ولو حصل لكم كل ما تحبون، ونما جميع ما تؤتون، ونلتم من الأماني ما تشتهون، أينفعكم حين ترحلون؟!

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾

إلى متى؟ وحتى متى؟!

تنصحون، وأنتم تكسبون الخطايا، وتجترحون، أأمنتم وأنتم تسرحون؟!

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾

لا تفرحوا بما تفرحون، فإنكم حين تطرحون، قد خسرتم إلى الآن فما تربحون.[٣]

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾

فهلا اتعظنا بكلمات أم الدرداء الواعظة.

هذا ما أرجوه من الله تعالى.

وهذا ما أتمناه.

---

(١) سورة الدخان، الآية: ٢٥.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١٥.

(٣) نقلاً عن التبصرة (١٧١/٢) لابن الجوزي.

③ كيف حكم فيهم التراب؟

تقول أم نهار العدوية، العابدة البصرية، -رحمها الله تعالى-: "أيها الناس...

إنكم من الله عز وجل في نعمةٍ وسترٍ، ومن الناس بمحل تزكية، فإياكم ومصاداة زخاريف الرخاء، فإنها ليست من صفة الألباء.

فأجلوا سمادير الغفلة عن قلوبكم، وتأملوا أهل العرصات الخرس، والربوع الصُمت.

وأرجعوا صوراً بوهمكم، تنسمون روح الحياة، فنادوهم يسمعوا، واسألوهم يخبروا، فأحيوا بموتهم، وتيقظوا لغفلتهم، وخذوا خوفكم من أمنهم، وحذركم من غرورهم، وانظروا بهم إلى أثر البلى في أجسامكم، والخراب في مساكنكم.

وكيف حكم فيهم التراب، إذ ولي الحكم فيهم، فأبدلهم بالنطق خرساً، وبالسمع صمماً، وبالحركات سكوناً.

رحم الله امرءاً أبصر فتدبر، واتعظ فاعتبر، وعمل ليوم الحساب، وخشي وقت العقاب".[1]

---

(١) صفة الصفوة (٣٨٩/٤) لابن الجوزي.

أخي المسلم...

عظةٌ بليغةٌ من امرأةٍ تعظ الرجال، وتذكرهم بالنهاية والمآل.

"أيها الناس ... إنكم في نعمةٍ وسترٍ"

نعمه كثيرة، وآلاؤه عظيمة، وستره عظيم، وفضله عميم.

خيره إلينا نازل، وشرنا إليه صاعد!!

يتحبب إلينا بالنعم، وهو غنيٌ عنا، ونتمقت إليه بالذنوب والمعاصي، ونحن فقراءٌ إليه!!

تنزل إلينا ملائكته الكرام بالرزق الجميل، وتصعد منا إليه بالعمل القبيح!!

فكم من نعمةٍ أنعمها علينا، فقلّ عندها شكرنا؟!

وكم من بليةٍ ابتلينا بها، فقل عندها صبرنا؟!

فيا مَنْ قل شكرنا عند نعمائه فلم يحرمنا.

ويا من قل شكرنا عند نعمائه فلم يخذلنا.

ويا مَنْ قل صبرنا عند بلائه فلم يفضحنا.

ويا مَنْ رأنا على الذنوب الكبار والصغار، ولم يهتك سترنا، أعنا على شكرك.

كان الربيع بن خيثم -رحمه الله- إذا قيل له: كيف أصبحت؟ يقول: "أصبحنا ضعفاء، مذنبين، نأكل أرزاقنا، وننتظر آجلنا".[١]

وقيل لأبي تميمة الهجيمي: كيف أصبحت؟ قال: "أصبحت بين نعمتين، لا أدري آيتهما أفضل، ذنبٌ ستره الله عليَّ، فلا يستطيع أحدٌ أن يرميني به، ومحبة رزقنيها الله من عباده، وعزته ما بلغها عملي".[٢]

وكان المغيرة أبومحمد إذا سئل: كيف أصبحت؟ يقول: "أصبحنا في النعم مُوقرين[٣] من الشكر، يتحبب

---

(١) الزهد (٣/٨٥٠) لوكيع، وطبقات ابن سعد (٦/١٨٥)، والمصنف (١٦/١٤) لابن أبي شيبة، والزهد (٥٧٢) للبيهقي).

(٢) انظر: الشكر (ص/١٩) لابن أبي الدنيا، والزهد (٥٧٧)، (٥٧٨) للبيهقي.

(٣) موقرين: الموقور العاجز، والمعنى: عاجزين عن شكر الله تعالى.

إلينا ربنا عز وجل وهو عنا غنيٌّ، وتتمقت إليه، ونحن إليه محتاجون".[١]

ومن ظن أن نعمة الله عليه في ماله فقد قلّ علمه، وخاب عمله، فنعم الله علينا لا تحصى، ولا تعد، ولكن الواحد منا يظلم نفسه، ويجهل بفضل ربه عليه.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾.[٢]

فهذا رجلٌ يأتي إلى التابعي الجليل يونس ابن عبيدالله -رحمه الله- يشكو إليه ضيق حاله، فيقول له يونس: "أيسرك ببصرك هذا الذي تُبصر به مائةُ ألف درهم؟ فيقول الرجل: لا. فيقول يونس: فبيديك مائة ألف درهم؟ قال الرجل: لا. قال فبرجليك؟ قال الرجل: لا.

فذكّره يونس نعم الله تعالى عليه، ثم قال: أرى عندك مئات الآلاف، وأنت تشكو الحاجة؟!!".[٣]

---

(١) الشكر (ص/٢٠).

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

(٣) الشكر (ص/٣٢-٣٣) لابن أبي الدنيا.

ونكمل مع عظة أم نهار التي تعظ الرجال، فتقول: **"ومن الناس بمحل تزكية".**

فالناس يثنون عليك، وهم لا يعلمون، وا لله يستر ما لا يعلمون.

تلك نعمةٌ من نعم ا لله علينا، فهل شكرنا ا لله عليها؟

فهذا الصحابي الجليل عبدا لله بن مسعود -رضي الله عنه- قال له رجلٌ: ما أحب أن أكون من أصحاب اليمين، بل أحب أن أكون من المقربين.

فقال له ابن مسعود: "لكن هنا رجلٌ ودّ لو أنه إذ مات لم يبعث -يعني نفسه- لو وقفت بين الجنة والنار، فقيل لي: اختر نخيرك من أيهما تكون أحب إليك، أو تكون رماداً؟ لأحببت أن أكون رماداً!!

لو تعلمون مني ما أعلم من نفسي، لحثوتم على رأسي التراب".(١)

---

(١) حلية الأولياء (١/١٣٣) لأبي نعيم، والفوائد (ص/١٠٧) لابن القيم.

فماذا نقول نحن، وقد أثقلتنا المعاصي؟!!

"فإياكم ومصاداة زخارف الرخاء، فإنها ليست من صفة الألباء".

المصاداة: التعرض، والمداراة، والزخاريف: هي الأشياء الحسنة.

فإياكم والتعرض لبهرج الرخاء وزيفه، والافتتان به، فإن ذلك ليس من صفات أصحاب العقول الناضجة، الواعية، اللبيبة الحازمة.

"فأجلوا سمادير الغفلة عن قلوبكم".

الجلاء: الذهاب، والسمادير: الخيالات التي تتراءى للإنسان من ضعف بصره، أو من الدوار، أو السُّكرِ من الشراب.

والمعنى المراد هو سراب الغفلة.

فالقلوب تصدأ، وتحتاج إلى جلاءٍ، فأذهبوا صدأ الغفلة عن قلوبكم.

وهنا يتساءل المرء: وكيف الطريق إلى جلاء الغفلة عن القلوب؟

تقول أم نهار العدوية: **"تأملوا أهل هذه العرصات الخرس، والربوع الصمت، وأرجعوا صوراً بوهمكم"**.

العرصات: القبور، والربوع: الديار، الصمت أو الصموت الساكنة.

تفكروا في حالة أهل القبور، وتصوروا أنهم أحياء في خيالكم..

"فنادوهم يسمعوا، واسألوهم يخبروا".

خرج عليُّ بن أبي طالب -رضي الله عنه- إلى المقبرة، فلما أشرف عليها قال: "يا أهل القبور، أخبرونا عنكم، أو نخبركم عنا.

أما خبر من قبلنا: فالمال قد اقتسم، والنساء قد تزوجن، والمساكن قد سكنها قومٌ غيركم".

ثم قال: "أما والله لو استطاعوا لقالوا: لم نر زاداً خيراً من التقوى".(١)

وهنا تكمل أم نهارعظتها فتقول: **"فأحيوا بموتهم، وتيقظوا لغفلاتهم، وخذوا خوفكم من أمنهم، وحذركم من**

---

(١) التذكرة (ص/٢٠) بتحقيقي نشرة دار الصحابة بطنطا.

غرورهم، وانظروا بهم إلى أثر البلى في أجسامهم، الخراب في مساكنكم، وكيف حكم فيهم التراب، إذ ولى فيهم، فأبدلهم بالنطق خرساً، وبالسمع صمماً، وبالحركات سكوناً".

"رحم الله امرءاً أبصر فتدبر، واتعظ فاعتبر، وعمل ليوم الحساب، وخشي يوم العقاب"

وهكذا تنتهي عظة أم نهار إلى الرجال، والتي فحواها العظة بالمقبور، والتذكرة ليوم النشور، والبُعد عن الغرور.

ونكمل المسيرة مع امرأةٍ أخرى تعظ الرجال.

٤ اصبروا على مصائب الدنيا

يقول عبدالمؤمن بن عبدا لله القيسي: ضربت أم إبراهيم العابدة البصرية دابة فكسرت رجلها، فأتاها قومٌ يعزونها، فقالت: "**لو لا مصائب الدنيا لوردنا يوم القيامة مفاليس**".(١)

عظةٌ وتذكرة لمن كان يرجو ا لله واليوم الآخر.

لو لم ينزل بنا البلاء لكانت حسناتنا قليلة، فجئنا يوم القيامة من المفلسين.

"**لو لا مصائب الدنيا لوردنا يوم القيامة مفاليس**".

فا لله سبحانه وتعالى إذا أراد الخير بعبده ابتلاه بالمصائب لكي يثيبه عليها عند صبره عليها، واحتسابه الأجر والثواب فيها.

---

(١) صفة الصفوة (٣٨/٤) لابن الجوزي.

يقول أبوهريرة -رضي الله عنه- سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**من يرد الله به خيراً يُصب منه**).(١)

فالله تعالى يختبر ما لدينا من الإيمان، فإن كان إيماننا عظيم القدر، شدد الله علينا في البلاء والمصائب، وإن كان في ديننا الضعف والتخاذل، خفف الله علينا من البلاء.

قال سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه-: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال عليه الصلاة والسلام: (**الأنبياء، ثم الأمثل، فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلى على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض، وما عليه خطيئة**).(٢)

---

(١) حديث صحيح. أخرجه مالك (١٢٠/٣) في الموطأ، والبخاري (٥٦٤٥)، وأحمد (٢٣٧/٢).

(٢) حديثٌ صحيحٌ. أخرجه: الترمذي (٢٥٠٩)، وابن ماجه (٤٠٢٣)، وأحمد (١٧٢/١، ١٧٤).

ويحدثنا أبوهريرة -ﷺ- أنه سمع رسول الله ﷺ: (ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه، وولده، وماله، حتى يلقى الله، وما عليه خطيئة).(١)

فالله تعالى يبتلي أهل الإيمان لكي يطهرهم من الذنوب والآثام، وليعظم لهم أجرهم، فعظم الجزاء مع عظم البلاء.

فهذه أم العلاء -رضي الله عنها- تقول: (أبشري يا أم العلاء، فإن مرض المسلم يُذهب الله به خطاياه كما تذهب النار خبث الذهب والفضة).(٢)

حتماً سوف يتعرض الواحد منا في هذه الدنيا إلى البلاء، الذي قد يكون في نفسه، أو في زوجه، أو في بلده إلى غير هؤلاء من عشيرة المرء وقومه.

---

(١) حديثٌ صحيحٌ. أخرجه: الترمذي (٢٥١٠)، وأحمد (٢٨٧/٢)، والحاكم (٣٤٦/١) وصححه، وأقره الذهبي.
(٢) حديثٌ صحيحٌ. أخرجه: أبوداود (٣٠٩٢) وغيره.

وهنا يظهر مقدار الإيمان الذي لدينا، فإن الله سبحانه وتعالى إنما أنزل بنا البلاء لكي يختبر إيماننا هل سنصبر أم نسخط؟!

هل نرضى بالقضاء، ونطلب من الله تعالى اللطف في البلاء؟!

أم نقنط من رحمة الله؟!

فمن رضي بما قضى الله تعالى عاش سعيداً، ومات سعيداً، وبعث بمشيئة الله تعالى سعيداً.

أما من سخط بما قضاه الله تعالى عاش ذليلاً، ومات ذليلاً، ويبعث ذليلاً.

يقول أنس بن مالك -رضي الله عنه-: قال رسول الله ﷺ:

(إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط)[1].

(إن عظم الجزاء): أي كثرته، **(مع عظم البلاء)** فمن بلاءهم أعظم فجزاؤهم أعظم.

---

(١) حديثٌ صحيحٌ. أخرجه: الترمذي (٢٥٠٧)، والبغوي (١٤٣٥) في شرح السنة.

(إذا أحب قوماً ابتلاهم): اختبرهم بالمحن والرزايا، وهم أعلم بحالهم.

(فمن رضى فله الرضا): فمن رضى بما ابتلاه الله به، فله من الله تعالى الرضا.

(ومن سخط فله السخط): فمن كره ما قضاه الله تعالى، ولم يرضه، وفزع لما نزل به، فله من الله تعالى شديد العذاب، وأليم العقاب.

فهذا الحديث وغيره يحث كل مؤمن ومؤمنة على الصبر على البلاء بعد نزوله، وبيان الحكمة من البلاء.

وإذا نظر المؤمن بعين البصيرة أدرك قدر الحسنات التي يحصل عليها من وراء البلاء، وقدر السيئات التي تكفر عنه.

ومن خلال ذلك يدرك أنه لو لا مصائب الدنيا لوردنا يوم القيامة من المفاليس.

فهلا تعلمنا من الواعظة أم إبراهيم الصبر على البلاء؟

وهلا تعلمنا بتلك العظة البليغة.

هذا ما أرجوه من الله تعالى، وهذا ما أتمناه.

ونكمل المسيرة مع امرأةٍ أخرى تعظ الرجال، ومن الله العون والتيسير.

٥ تذكر غداة الحشر

يقول خالد الوراق -رحمه الله تعالى-: كانت لي جارية شديد الاجتهاد، فدخلت عليها يوماً، فأخبرتها برفق الله، وقبول يسير العمل، فبكت ثم قالت: "**يا خالد، إني لأومل**[١] **من الله تعالى آمالاً لو حملتها الجبال لأشفقت**[٢] **من حملها، كما ضعفت عن حمل الأمانة، وإني لأعلم أن في كرم الله مستغاثاً لكل مذنب.**

ولكن كيف لي بحسرة السباق؟[٣]

قال: قلت: وما حسرة السباق؟

قالت: غداة الحشر إذا بعثر ما في القبور، وركب الأبرار نجائب[٤] **الأعمال، فاستبقوا**[٥] **إلى الصراط.**

---

(١) يؤمل: يرجو، ويتمنى.

(٢) أشفقت: خافت.

(٣) حسرة السباق: أي التنافس في الدخول إلى الجنة سيراً على الصراط.

(٤) النجائب: الركوبة من الإبل.

(٥) استبقوا: أسرعوا.

وا لله، لا يسبق مقصرٌ مجتهداً أبداً، ولـو حبـا[1] المجـدُ حبواً.

أم كيف لي بموت الحزن والكمد؟

إذا رأيـت القـوم يـتراكضون [2]، وقـد رفعـت أعـلام المحسنين، وجاز الصراط المشتاقون، ووصـل إلى ا لله المحبـون، وخُلِّفتُ مع المسيئين المذنبين؟

ثم بكت، وقالت: يا خالد ..

انظر لا يقطعك قاطعٌ عـن سـرعة المبـادرة بالأعمـال، فإنه ليس بين الدارين دار يُـدرك فيهـا الخُـدَّام مـا فـاتهم مـن الخدمة.

فهلا كانت الأعمال توقظه إذا نام البَّطالون". [3]

إنها موعظةٌ نسائية إلى النفوس المتكاسلة.

إنها تذكرةٌ إلى القلوب الغافلة.

إنها دعوة إلى التفكر في تقصير الواحد منا في حق ربه سبحانه وتعالى.

---

(١) الحبو: السير على الأيدي زحفاً كما يفعل الصغار.

(٢) يتراكضون: الركض هو الإسراع في السير، ويكون عـن طريـق ضرب الرجل البعير بعقبيه.

(٣) صفة الصفوة (٤/٤٦-٤٧) لابن الجوزي.

إنها رسالةٌ إلى متكبرٍ ومتكبرة بما لديهما من الأعمال.

ونكمل المسيرة مع امرأةٍ أخرى تعظ الرجال، ومن الله تعالى العون والتيسير.

٦ لأصلين لله عز وجل ما أقلتني جوارحي

يروي أحمد بن سهل الأردني -رحمه الله- فيقول: دخل على زجلة العابدة نفرٌ من القراء، فكلموها في الرفق بنفسها، فقالت: **"ما لي وللرفق بها، إنما هي أيامُ مبادرة مَنْ فاته اليوم شيء لم يدركه غداً، والله يا إخوتاه، لأصلين لله عز وجل ما أقلتني جوارحي، ولأصومن له أيام حياتي، ولأبكين له ما حملت الماء عيني، أيكم يأمر عبده بأمرٍ، فيحب أن يقصر فيه؟!"**.(١)

عظةٌ بليغةٌ، وتذكرةٌ وجيزةٌ.

"ما لي وللرفق بها... إنما هي أيام مبادرة"

ليس معناه البعد عن الوسطية، ولا حب الغلو والتنطع، وإنما المراد الأخذ بالعزيمة في أمر الله تعالى.

إن حالها أشبه بحال حفصة بنت سيرين -رحمها الله-، أخت التابعي الجليل محمد بن سيرين، قرأت

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا (١٣٧) في محاسبة النفس، وابن الجوزي (٤/٤٠) في صفة الصفوة.

القرآن كله، وهي ابنة اثنتي عشرة سنة، وماتت وهي ابنة تسعين.

يقول هشام بن حسان: "كانت حفصة بنت سيرين تدخل في مسجدها، (١) فتصلي فيه الظهر، والعصر إلى ما شاء الله، فلا تخرج إلا لحاجةٍ(٢) أو لقائلة(٣)". (٤)

وأشبه ما يكون بحال أم الدرداء، وما أدراك ما أم الدرداء؟

مسلمة تقية، ومؤمنة ذكية، وزوجة وفية.

يروي ميمون بن مهران -رحمه الله- عنها فيقول: "ما دخلت على أم الدرداء في ساعة صلاة إلا وجدتها مصلية". (٥)

---

(١) المراد المكان المخصص في بيتها للصلاة، وأفضل ما كان في غرفة نومها.

(٢) حاجة: أمر ضروري كشراء طعام، أو الذهاب لخلاءٍ.

(٣) القائلة: القيلولة، وهي نومة الظهيرة.

(٤) صفة الصفوة (٤/٢٢) لابن الجوزي.

(٥) صفة الصفوة (٤/٢٥١) لابن الجوزي.

هـذا هـو المـراد إنما هـي أيـام المبـادرة، المسـابقة، والمسارعة إلى الخيرات.

فاليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل.

لذا فمن فاته اليوم شـيء لم يدركـه غـداً، ومـن أجل ذلك تسارع زجلة العابدة إلى طاعـة ربهـا، وتعـظ الرجال قائلة: **"والله يا إخوتاه، لأصلين لله عز وجل ما أقلتني جوارحي، ولأصومن له أيام حياتي".**

إصـرارٌ علـى عبوديـة الله، وعزيمـة صادقـة علــى طاعته، وتفانٍ شديد في محبته.

ولكن إلا كم نعصي ونتمرد، وأقبح مـن قبحنـا أننا نتعمد.

ألسنا نعلم أن مَنْ زرع حصد، ومن جد وجد؟!

لقـد لان قلـب زجلـة بذكـر الرحمـن، واقشـعر جلدها عند تلاوة القرآن، وسقطت دموعها مـن خشية الرحمن، وتورمت أقدامها مـن طـول القيـام، فـأين نحـن منها؟!

وتختم زجلة عظتها إلى الرجال قائلة: **"أيكم يأمر عبده بأمر فيحب أن يقصر فيه؟!"**

حقاً من الذي يرغب في تقصير من يخدمه؟!

صدقاً من الذي يرضى بتقصير من يخدمه؟

والعبد منا فقير إلى مولاه الغني، فكيف لا يسارع إلى طاعته؟!

وكيف لا نسارع إلى طاعته، والغم والهم نهاية مَنْ عصاه؟!

قال عز وجل:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمَى ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً ۝ قَالَ كَذلِكَ أَتَتْكَ ايَاتُنا فَنَسِيتَهَا وَكَذلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾.(١)

ونكمل المسيرة مع امرأةٍ أخرى تعظ الرجال.

---

(١) سورة طه، الآية: ١٢٤-١٢٦.

⑦ الحب في الله تعالى

قالت زجلةُ -رحمها الله تعالى: كنا جلوسنا مع أم الدرداء -رضي الله عنها- فقال لها إسماعيل بن هشام والي المدينة: يا أم الدرداء ...

ما أوثق عملك في نفسك؟

قالت: "**الحب في الله عز وجل**".(١)

الحب في الله تعالى، منزلة عظمى، ودرجة فُضلى.

يقول ابن القيم -رحمه الله-: "هي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون، وإلى علمها شمر السابقون، وعليها تفانى المحبون، وبروح نسيمها تروح العابدون.

فهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقرة العيون، وهي الحياة التي مَنْ حرمها، فهو في جملة الأموات، والنور الذي مَنْ فقده فهو في بحار الظلمات،

(١) كتاب "الإخوان" (١٨) لابن أبي الدنيا.

والشفاء الذي مَنْ عدمه حلّت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي مَنْ لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام".

وصدق الإمام -رحمه الله-، فالحب في الله عز وجل ليس مما يشترى بمالٍ، أو يورث عن آباء وأجداد، وإنما المحبة في قلب المؤمن، يلقيه الله في قلب من شاء من عباده، ولذلك قال عز وجل لنبيه ﷺ: **﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾**.(١)

ولذلك أقول: إن كل محبةٍ لا تكون لله فهي باطلة، وكل عملٍ لا يراد به وجه الله فهو باطل، فالدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ما كان لله، وكل عملٍ أُريد به غير الله لم يكن لله، وكل عملٍ لا يوافق شرع الله، لم يكن لله.

ولهذا كان على كل من آمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمداً ﷺ نبياً، ورسولاً، أن يتنافس، ويتسابق إلى أن يصل إلى محبة الله تبارك وتعالى.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٣.

فمحبة الله هي المنزلة العليا، التي من أجلها سار السائرون، وعبد العابدون، فهي النور لمن كان في الظلمات، والحياة لمن كان من الأموات.

والحب في الله تعالى هو الطريق إلى حلاوة الإيمان، والنجاة من النيران.

فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ:

(ثلاثٌ مَنْ كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يقذف الرجل في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، وأن يحب العبد لا يحبه إلا في الله).(١)

وحلاوة الإيمان إنما تكون بفعل الطاعات، وتحمل المشقات في طلب مرضاة الله تعالى.

---

(١) حديثٌ صحيحٌ. أخرجه البخاري (١/١٠، ١٢)، ومسلم (١٣/٢)، وأحمد (١٠٤/٣)، والنسائي (٩٤/٨)، وابن ماجه (٤٠٣٣).

وإذا أراد المرءُ الوصول إلى حب الله، ورسوله ﷺ يعني إيثار ما فيه رضاهما على هوى النفس، بحيث يصير هوى الإنسان تبعاً لما جاء عنهما.

وبعـــد...

هل استقر معنى الحب في الله تعالى؟

هذا ما أرجوه، وهذا ما أتمناه.

خاتمة

هكذا انتهت عظات النساء إلى الرجال، والتي تدعونا إلى تذكر الدار الآخرة، بدءاً من الموت وسكراته، والقبر وأهواله، إلى الصراط والقيامة.

وتعلمنا الخوف من الله تعالى، والطريق إليه، وتحثنا على الحب في الله عز وجل.

وتحذرنا من الكبر والغرور، والرياء والسمعة.

فأسأل الله العظيم، رب العرش العظيم، أن ينفع بهذا الكتاب سائر المسلمين والمسلمات، وأن ينفعني بثوابه في مماتي ومعادي.

إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله تعالى، عليه توكلت، وإليه المصير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أبو مريم
مجدي فتحي السيد

فهرس الرسالة

العنوان	الصفحة
تقديم	٥
١- دواء قسوة القلوب	٧
٢- لا تغرنكم الدنيا كما غرتني	٢٩
٣- كيف حكم فيهم التراب؟!	٣٥
٤- اصبروا على مصائب الدنيا	٤٣
٥- تذكرة غداة الحشر	٤٩
٦- لأصلين لله ما أقلتني جوارحي	٥٣
٧- الحب في الله تعالى	٥٧
خاتمـــة	٦١
الفهرس	٦٣

مطبعة النرجس التجارية
NARJIS PRINTING PRESS
تلفون : ٢٣١٦٦٥٣/ ٢٣١٦٦٥٤
فاكس : ٢٣١٦٨٦٦ الرياض

٣ ريال

اقرئي أختاه حتى لا تخدعي

دار الراية

من منشوراتنا للمرأة المسلمة

• آداب الصحبة بين الأخوات المسلمات	مجدي فتحي السيد
• أسس اختيار الزوجين	مصطفى عيد الصياصنة
• اعترافات متأخرة (جزءان)	محمد عبدالعزيز المسند
• تسمية المولود	بكر أبوزيد
• داء تفشي العنوسة	عبدالودود مقبول حنيف
• الدعوة إلى الإصلاح	محمد الخضر حسين تحقيق/ علي حسن عبدالحميد
• فتاوى الصيام	عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين
• قوت القلوب في ذكر علام الغيوب	ربيع بن عبدالرؤوف الزواوي
• كيف تعامل خدمك	أم عبدالله بنت خالد
• اللآلئ المنثورة في بيان بعض السنن المهجورة	أبويوسف عبدالرحمن آل محمد
• لفت الأنظار إلى حقيقة الإيثار	جمال محمد إسماعيل
• للنساء الآن قبل الندم والخسران	مجدي فتحي السيد
• للنساء فقط	مجدي فتحي السيد
• تحفة النساء	مجدي فتحي السيد
• أختاه التوبة أو الحسرة	مجدي فتحي السيد
• فضائل تربية البنات	مجدي فتحي السيد

ردمك: ٤ - ٤٧ - ٦٦١ - ٩٩٦٠

مطبعة النرجس - ت: ٢٣١٦٦٥٣ ف: ٢٣١٦٨٦٦